فضل الله الصمد

في توضيح

الأدب المفرد

لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري

تأليف

العبد المفتقر إلى رحمة الله

فضل الله الجيلاني

الأستاذ في الجامعة العثمانية بحيدرآباد الدكن (سابقًا)

الجزء الأول

جميع الحقوق محفوظة

١٤١٦هـ - ١٩٩٥م

تقدمة لهذه الطبعة الخامسة

بقلم فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الفتاح أبو غده

كلمة عن المؤلف وكتابه:

الحمدُ لله الذي خلق الإنسان وأدَّبه فأَحسَنَ تأديبَه وأرسل لِيُتمَّ مكارِمَ الأخلاق صفيَّه وحبيبَه ﷺ ما أعظم خُلُقَه وأتمَّ تهذيبه وعلى آله وصحبه وكلِّ من أخذ من هديه نصيبَه.

أما بعد: فإن تهذيب الأخلاق والتحلِّي بالآدابِ الفاضلة في كل شأن من شؤون الحياة أمرٌ من لُباب الشريعة ومقاصِدِها الرفيعة، وفي سيرة نبيِّنا ﷺ تمام مكارم الأخلاق وكريم الشيم عَلَّم أمته أدب دينهم ودُنياهم فأحسن تعليمَهم وتأديبهم وأتمَّ.

وإن أوَّلَ وأجَلَّ كتاب جَمَع طايفةً كبيرةً ونخبةً مختارة من الأحاديث والآثار في الآداب والأخلاق النبوية ـ التي هي الأسوةُ الحسنة للأمة المسلمة ـ هو كتابُ [الأدب المفرد] لإمام الأئمة وعلم الأمة، أمير المؤمنين في الحديث، أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، المولود سنة ١٩٤، والمتوفى سنة ٢٥٦، رحمه الله تعالى وجزاه عن المسلمين وسنة سيِّد المرسلين خير الجزاء.

وقد تعرض الإمام البخاري رحمه الله تعالى في كتابه [الجامع الصحيح] لموضوع [الأدب] وخص له كتاباً ضِمْنَ كتب صحيحه ولكنه لشدة شَرْطه في [الصحيح] لم يُخْرِج فيه أحاديث وآثاراً كثيرةً تتعلق بالآداب والزهد، لنزول تلك الأحاديث عن شَرْطه الذي مشى عليه في [صحيحه].

ولما كانت تلك الأحاديثُ والآثارُ مما يحتاج إليه المسلم في شؤون حياته رأى ـ رحمه اللهُ تعالى ـ أن يُفرد لموضوع [الأدب] كتاباً مُستقلاً يتوسع فيه في تخريج الأحاديث، فأفْردَ لَه هذا الكتاب ولم يشترط فيه الصحة، بل أخرج فيه الصحيحَ والحَسَن بجميع أقسامِهما، وأخرج فيه الضعيفَ أيضاً بكثرةٍ وقد ذكرت في تعليقي على [ظفر الأماني في شرح مختصر السيِّد الشريف الجرجاني]، للعلامة عبد الحي اللكنوي رحمه الله تعالى[1] نماذج كثيرةً من الرواة الضعفاء والمجهولين بلغوا ٥٢ راوياً الذين أخرج لهم الإمامُ البخاري في هذا الكتاب.

وإفرادُ هذا الكتاب لموضوع [الأدب] وعدمُ اشتراط الصِحَّة والحُسْن فيه من تمام فقهِ الإمام البخاري رحمه الله تعالى، ومن شدة حِرْصِه على إشاعة الآداب الإسلامية التي لا خير إلا فيمن تأدَّب بها، ومن تنكَّب عنها فقد حُرِم الخيرَ كلَّه. وهذا الصنيع من الإمام البخاري رحمه الله تعالى أيضاً إتِّباعٌ لطريقة شيوخه وشيوخ شيوخه الذين لم يشترطوا في كتبهم ومروِيَّاتهم في موضوع الأدب والزهد وما أشبه ذلك الصحةَ أو الحُسْنَ بل أخرجوا فيها الضعاف بكثرة كما هو مشاهد في كتاب [الزهد] للإمام أحمد وكتاب [الزهد والرقايق] للإمام عبد الله بن المبارك رحمهما الله تعالى. وكتبٍ كثيرةٍ غيرهما.

وقد روى الخطيب البغدادي في كتاب [الكفاية][2] بسنده عن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى أنه قال: [إذا رَوَينا عن رسول الله ﷺ في الحلال والحرام والسنن والأحكام تشدَّدْنا في الأسانيد، وإذا روينا عن النبي ﷺ في فضايل الأعمال وما لا يَضَع حكماً ولا يرفَعُهُ تساهلنا في الأسانيد]. وروى البيهقي في [المدخل لدلايل النُبُوَّة][3] بسنده عن الإمام عبد الرحمٰن بن مهدي أنه قال: [إذا رَوَينا في الثواب والعقاب وفضايل

---

(١) ص ١٨٢ ـ ١٨٤.

(٢) ص ١٣٤.

(٣) ص ٣٤.

الأعمال تساهلنا في الأسانيد وتَسَامحنا في الرجال، وإذا روينا في الحلالِ والحرام والأحكام تشدَّدْنا في الأسانيد وانتقدنا الرجال].

ونُقل نحو ذلك عن ابن معين، وابن المبارك، والسفيانَيْن: الثوريِّ وابن عيينه، وغيرِهم رحمهم الله تعالى ورضي عنهم كما ذكره الحافظ السخاوي في [فتح المغيث][1].

فمن حاول في هذا العصر المتأخر الزمن إطِّراحَ الأحاديث الضعيفة مطلقاً وبدأ يستدرك على الأئمة: الترمذي، والنسائي، وابن ماجة، في تخريجهم الأحاديث الضعيفة، ولم ينتهِ إلى أن استدرك على الإمام البخاري بتقطيع كتابِه هذا وبتره فقد حاد عن الصواب وجانب طريقة أئمة السلف رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

هذا ولما كان كتاب [الجامع الصحيح] للإمام البخاري رحمه الله تعالى يتضمن كتاباً بعنوان [الأدب] أُضِيف إلى اسم كتابه المستقل في الأدب لفظُ [المفرد] إيذاناً بانفراده عن [الجامع الصحيح].

ومع جلالةِ هذا الكتاب [الأدب المفرد] وجودتِه وحسنِ ترصيفه وتأليفه وشموله لما ينبغي أن يكون عليه المسلمُ والمسلمةُ من الأخلاق والعادات الحميدة، لم يَعتن أحد من علمائنا السابقين ـ فيما أعلم ـ بشرحه، وإيضاح معاني أحاديثه، وما فيها من الآدابِ، ومكارم الأخلاق ومحاسن الشِّيَم، والفوايد والفرايد، وادَّخَر الله تعالى هذا الفضل للعلامة المحقق، المحدِّث الكبير الشيخ السيد فضل بن السيد أحمد علي المتوفي في أواخر جمادى الأولى سنة ١٣٩٩ للهجرة رحمه الله تعالى.

فقد تصدى ـ رحمه الله تعالى ـ لتصحيح هذا الكتاب متونه وأسانيده على طريقة علمية متينةٍ، ثم وضع عليها تعليقاتٍ مفيدة، تخريجاً للأحاديث والآثار، وكشفاً لأحوال الأسانيد والرجال، وإيضاحاً لمعاني

---

(٤) ص ٢٨٨.

المتون مشكلِها وغريبها، واستخراجاً للآداب واللطائِف والحكم، بحيث قد جعل الكتاب سهل المنال، ووضع فوائده على طرف الثُّمام.

ولمزيد الإفادة قد حلَّى المؤلف الكتاب بفهارسَ متنوعةٍ منها ٦٤ فهرساً لتخريج الأحاديث والآثار. وهذه الفهارس مطبوعة مع الشرح سِوى فهرس واحد، ولقد أحسنَ العلامةُ المحقق مولانا السيد مناظر أحسن الكيلاني رحمه الله تعالى حيث قال في مدح هذا الشرح [فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد] كما سيأتي في تقريظه أول الكتاب [إستوفى الشارح كل ما يجب أن يراعيه شارح الحديث واستزاد فوضع ثمانين فهرساً فالحق أنه لم يبذل لمتن من المتون اعتناء كالذي بذل لهذا المتن] انتهى.

وقد وقع هذا الشرح موضعَ الإعجاب والقبولِ من علماء عصر المؤلف كما سيرى القارىء قريباً في المقدمة كلماتِهم في التقريظ لهذا الكتابِ والثناء عليه كما قد أصبح هذ الشرح منهلاً ومرجعاً لكل من اشتغل بكتاب [الأدب المفرد] درساً وتدريساً وتعليقاً وتخريجاً.

ونظراً إلى إفادة الكتاب وكونِه فرداً في بابه فقد تكرر طبعه في القاهرة ثم في سُورية بحمص، وفي تركيا في اسطنبول، وغيرها، تصويراً عن الطبعة التي صدرت أول مرةٍ في القاهرة، بعناية الأستاذ محب الدين الخطيب سنة ١٣٧٩ ولم يُدْخل عند الطبع كثير من الفهارس التي صنعها الشيخ المؤلف لزيادة نفع الكتاب وإفادته.

وهذه هي عناوين الفهارس التي تركت عند الطبع:

١ ـ المطالبُ وعناوين الكتاب والشرح.
٢ ـ الألفاظُ الغريبة.
٣ ـ الأدعيةُ والأذكار التي وردت في الكتاب وشروطُها وأركانُها.
٤ ـ الأشعار التي وردت في الكتاب.
٥ ـ الأحاديث المعلقة في الكتاب.

٦ ـ ثلاثيات الإمام البخاري في الكتاب.
٧ ـ الصحابة الذين لهم رواية في هذا الكتاب مُرتَّبين على حروف الهجاء.
٨ ـ الرواة الذين بَيْن شيوخ البخاري وبين الصحابة.
٩ ـ الرجال الذين لهم ذكر في الكتاب.
١٠ ـ النساء المذكورات فيه كذلك.
١١ ـ تخريج الأحاديث التي ليست في الصحاح الست.

وكل هذه الفهارس مما ذكره المؤلف في المقدمة ولم تُدخل في الطبع وقد تكون عنده فهارس أُخَر غيرُ ما ذكره في المقدمة وغيرُ ما أدخل في الطبع، فقد ذكر لي المؤلفُ أن عنده ٣٠ فهرساً لهذا الكتاب لم تُدْخل في الطبع.

ومما لم يطبع من تلك الفهارس النصف الأخير من [فهرس شيوخ البخاري في الأدب المفرد مرتبةً على حروف الهجاء] واعتذر الناشر ٢: ٧٣٤ أنه لم يحصُل على بقية هذا الفهرس.

وليس في الفهارس التي طُبعت مع الكتاب وذكَرَها المؤلف في المقدمة، فهرسُ أطراف وأوائِل الأحاديث والآثار، فيكون هذا الفهرس من جملة الفهارس الثلاثين التي أشار إليها المؤلف في حديثه لي، فإن المؤلف قد نوَّع الفهارس ولَوَّنَها، وأتى بفهارسَ كثيرةٍ لتخريج الأحاديث والآثار مع قلة الحاجة إليها، فلا يُعقل أنه غَفَل عن فهرسة الأطراف والأوائل مع أن الحاجة إليها أشدُّ، وهي أشهر وأقدمُ شيءٍ وُجِد من أنواع الفهارس، فقد عُرِفت في القرن الثاني من الهجرة. وقد يكون كل هذه الفهارس محفوظة في الجامعة العثمانية بحيدرأباد الهند، فقد كان الشيخ المؤلفُ أستاذاً فيها مدة طويلةً، فلو بحث أحدُ الناشرين عن هذه الفهارس وألحقها مع الكتاب أو طَبَعها مفردةً لكان تكميلاً لخدمة هذا الكتاب ووفاءً بحق الشارح المؤلِف رحمه الله تعالى.

ومما ينبغي ذكرُه هنا أن هذا الكتاب مع ما بُذِل في تصحيحه عند

الطبع قد بقيت فيه أخطاءُ غيرُ قليلةٍ نَدَّتْ عن المصَحِّحين، وكان الشيخ المؤلف قبل سفره من الرياض قدَّم إلى بعض الأخوة الأفاضل أوراقاً فيها تصويباتٌ واستدراكات على الطبعة السابقة رجاء أن يستدرك ما فيها في طبعة لاحقة.

والأخ المذكور قدَّم تلك الأوراق إلى مكتبة في الرياض رجاءَ أن تنشُرَ الكتاب وتُدخلَ فيه التصويبات والاستدراكات ولكن لم يتحقق لأسباب عارضة.

وفي هذا الأوان توجه الأستاذ الشيخ السيد عمر بن حامد الجيلاني بالسعي إلى الشيخ المحسن أحمد يوسف زينل ليعيد طبع هذا الكتاب المستطاب لتوزيعه بين طلبة العلم وأهله وغيرهم من المثقفين ابتغاءً لرضوان الله وثوابه وإشاعة لآداب السنة المطهَّرة وأخلاق الرسول الكريم ﷺ وأخلاق أصحابه الكرام رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، وطلب مني أن أكتب كلمة عن المؤلف الشيخ السيد فضل رحمه الله تعالى وكتابِه هذا.

وقد بحثت كثيراً عن ترجمة المؤلف فلم أفز بها في المصادر العربية، والأغلب أنه قد تُرجم له في كثير من مجلات الهند وباكستان التي تصدر باللغة الأُردية، فقد كان المؤلف من عِلية العلماء في تلك البلاد ومن كبار الأساتذة الأفاضل في الجامعة العثمانية بحيدرأباد ـ الهند، تلك الجامعة الشهيرة، ولكني إلى حين كتابتي لهذه الكلمة لم أتوصل إلى الوقوف على ذلك. وقد لقيت الشيخ المؤلف غير مرة في رحلتي الأولى للهند سنة ١٣٨٢ وأكرمني بالدعوة إلى منزله، وحدثني عن بعض شأنه الخاص ومما قاله لي: إن له خمس بنات وليس له بنون وإحدى بناته سماها حنيفة وكانت فقيهةً كتبت كتاباً لطيفاً عن فقه الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أطلعني عليه الشيخ مخطوطاً.

ثم رأيت الشيخ كثيراً حينما أقام في الرياض لمدة غير قصيرة، وبلغني نعيُه، وأنا في مدينة لكنو بالهند، حينما ذهبت إلى دار العلوم

ندوة العلماء لكنو أستاذاً زائراً سنة ١٣٩٩ وقد توفي رحمه الله تعالى في أواخر جمادى الأولى من تلك السنة في الهند.

وقد لمست من الشيخ رحمه الله تعالى في زياراتي له أو زياراته لي عالماً عاقلاً وفاضلاً جليلاً مع الخلق الحسن والأدب الرفيع والتواضع الجم.

ولئن لم نقف على تفاصيل ترجمة الشيخ فإن كتابَه هذا خيرُ تعْريف بغزارة علمه ودقةِ فهمه، وكبير اهتمامِه بِنَشْر السنة النبوية والآداب الإسلامية، وشدةِ حرصه على تصحيح الكلمة العلمية وحفظها من أن يلحقها تحريفٌ أو تصحيف، وقد تعرض في تقديمه لهذا الكتاب لذكر بعض قواعد مهمةٍ لتحقيق الكتاب وتصحيحه فأجادَ في ذلك وأفاد.

جزى الله تعالى المؤلف وناشري الكتاب خيرَ ما يجزى المحسنين ووفقني وجميع المسلمين للاهتداء بهدي المصطفى والتخلق بخلقه صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين.

في الرياض

١٠ من ذي القعدة سنة ١٤١٥ **كتبه عبد الفتاح أبو غدة**

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى اللهُ على رسوله محمدٍ وآلهِ وصحبهِ وسلَّم

التعريف بالامام البخارى

ان القرآنَ ـ كما فى حديث عبد الله بن مسعود ـ مأدُبَةُ اللهِ فى الأرض . وان حامل أكمل رسالاتِ الله محمداً ﷺ كان خُلقهُ القرآنُ . كما وَصفته أمُّ المؤمنين عائشة . وكان ـ صَلاةُ الله وسلامه عليه ـ يترجم القرآنَ للناس بسيرته وتصرُّفاته ، وبما يجريه اللهُ على لسانه من آيات البيان وجَوامع الحكمة ، مدَّةَ ثلاث وعشرين سنة ، فحفظَ أصحابه البرَرَة ـ رضىَ اللهُ عنهم ـ من أقواله وأفعاله فى ذلك ماشاءَ اللهُ أن يحفظوا

ولمَّا دَوَّنَ أئمةُ السُّنةِ هذه الكتبَ العظيمة فى الحديث النبوى ـ كما لَقنها الصحابة لتابعيهم فالتابعينَ لهم بإحسان ـ رتبوا الكثيرَ منها على مقاصد الشريعة ، كأصول الدين ، والعبادات ، والمعاملات ، والوصايا ، والحدود ، وأنظمة الدولة والمجتمع ، وأحاديث الجهاد والسِّيَرَ والمغازى ، والمناقب ، والبَشائر ، والنذُر . . . الخ ، وكان نصيبُ الأخلاق والآداب موفوراً فى جميع دواوين السنة ، لأن ذلك ركنٌ عظيم فى بنيان الهداية المحمدية ، وقد علمَ الناسُ أن هذا النبىَّ الكريم ﷺ مبعوث إلى الانسانية ليتمم لها مَكارمَ الأخلاق . والإمامُ محمد بن إسماعيلَ البخارى نَفسهُ قد عَقدَ فى جامعه الصحيح كتاباً للأدب هو الكتاب الثامن والسبعون من ذلك السفر الجامع الخالد . ثم لم يَكتفِ بذلك ـ رحمهُ الله ورضىَ عنه ـ حتى (أفرَدَ) للأدب هذا الكتابَ المستقل . وأحسَبُ أنه سماه (الأدب المفرَد) لأنه قد جعله مقصوراً على موضوع الأدب دون غيره

ومن عجائب الاتفاق أن الإمامَ البخارى أدركَ نهايةَ القرون الثلاثة الأولى التى هى

خيرُ القرون [١] ، واستقبلَ ما بعدها بالشطر الثانى من حياته ، فكأنه سفيرُ الرَّعيل الأول الى من يليهم ، فأعدَّ لأهل الحقّ والخير كتابَه الجامعَ فى السنَّة المحمدية ، وكان قدوةً لمعاصريه ومن جاء بعدهم فى تحرِّى الصحيح من مَرويَّات أهل العدالة والضبط من رُواة الحديث الشريف . وهو أولُ من وضع فى الإسلام كتاباً مَحضَ فيه صحيحَ السنن ومَحصها بالشروط الدقيقة التى اشترطها ، وبذلك قطع الطريق على أهل البدَع الذين نجمت قرونهم فى عصر البخارى ، فباءوا بالخزى والفشَل ، وجعل البخارىُّ وأمثاله لهذه الشريعة مناراً ساطعاً لا مجالَ فيه للوضاعين والمنحرفين عن سُنة الإسلام السنية

وُلِد الإمامُ أبو عبد الله محمدُ إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ بن المغيرةِ البخارى الجعفى فى وطنه الأولِ بُخارىٰ يوم الجمعة بعد الصلاة لثلاثَ عشرةَ ليلةً خَلَتْ من شوَّال سنة ١٩٤ . قال المستنيرُ بن عَتيق : أخرجَ لى ذلك محمدُ بن اسماعيل بخطِّ أبيه

وكان أبوه من أهل العلم والتقوى والسعة فى الرزق ، والظاهر أنه كانت له تجارة ، كما أن له اشتغالاً بعلوم السنة ، وقد عدَّه الحافظُ ابن حِبان ـ فى كتاب الثقات ـ من الطبقة الرابعة وقال : إنه يروى عن حماد بن زيد ، ومالك . وروى عنه العراقيون . وذكره ولده فى التاريخ الكبير (١ / ١ : ٣٤٢) فقال : إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ، رأى حمادَ بن زيد (٩٨ ـ ١٧٩) ، وصافحَ ابنَ المبارك (١١٨ : ١٨٢) وسمع مالكا (٩٣ ـ ١٧٩) . والمفهوم من روايته عن مالك وحماد بن زيد ومن رواية العراقيين عنه أنه خرج من وطنه حاجاً ـ قبل سنة ١٧٩ ـ فزار المدينة ولقى فيها مالكا ، ومرَّ بالعراق وهو بين الحجاز وما وراء النهر قادماً أو عائداً فلقى حماداً وسمع منه ، واجتمع به العراقيون فرووا عنه . أما ابن المبارك فكان حليفَ أسفار ، وامتدت به الحياة ثلاث سنين بعد مالك وحماد [٢]

---

(١) نقلتُ فى مناسبات متعددة قول الحافظ ابن حجر فى فتح البارى (٧ ص ٤) : إن أئمة الإسلام اتفقوا على أن آخر من كان من أتباع التابعين ممن يقبل قوله من عاش إلى سنة ٢٢٠ (ويوافق ذلك ريعان شباب الإمام البخارى) . ثم ظهرت البدع ، وتغيرت الأحوال تغيراً شديداً!

(٢) ولاسماعيل بن ابراهيم ترجمة فى تهذيب التهذيب (١ : ٢٧٤ ـ ٢٧٥)

وإبراهيم بن المغيرة جدُّ البخارى قال عنه الحافظ ابن حجر (فى هدى السارى ص ٤٧٨) : لم نقف على شىء من أخباره

والمغيرةُ أبو إبراهيم هو أول من أسلم من آباء البخارى ، وكان إسلامه على يد أحد مواطنيه من موالى جعفى واسمه اليمان ، وهو الجد الأعلى للمحدث الحافظ عبد الله بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن اليمان المسندى الجعفى . وقبيلة جُعفى كان لها ثواب الدعوة إلى الله فى بُخارى وما وراء النهر ، خصوصاً أيام ولاية سعيد بن جعفر الجعفى على خراسان . وهى قبيلة يمنية تنسَب الى جعفى بن سعد العشيرة بن مَذْحِج ، ومذحج أخو طيئ جد حاتم ، وأخو الأشعر جد أبى موسى الأشعرى . ولكثرة من أسلم من الترك فيما وراء النهر على أيدى بنى جعفى المذحجيين صار هؤلاء المهتدون يعتزّون بالنسبة الى جعفى ومذحج ويقولون نحن لهم أبناء أو كالأبناء ، حتى قال شاعر من أهل تلك العصور :

وما كانت الأتراك أبناء مَذحِج ألا انّ فى الدنيا عجيباً لمن عجب

نعم ، ان أبناء تلك الدنيا الواسعة من بلاد المشرق الذين أسلموا على أيدى الجعفيين المذحجيين ، كان للجعفيين عظيمُ الثواب من الله على إبلاغ دعوته لأسلافهم ، حتى نبغ منهم مثل الإمام البخارى ، فحقّ لهم أن يضيفوا الى ثواب الله لهم على نشر دعوته ، والى افتخار أهل ما وراء النهر بهم وانتسابهم اليهم ، فخراً آخر خالداً بما أثمرته الهداية هناك من ثمرات لاشك أن أشهاها وأنضجَها هذه المؤلفات العظيمة التى خلفها وخلدها الإمامُ البخارى للمسلمين ببركة اهتداء جده المغيرة بالإسلام على يد مواطنه اليمان الجعفى جد الحافظ المسندى الجعفى ، فرحم الله الجميع وأعظمَ ثوابهم وأعلى مقامهم فى عليين

أما بَردِزْبه ـ أو الأحنف ـ والد المغيرة فكان على المجوسية دين قومه قبل اسلامهم ويقال ان معنى « بَردِزْبه » الزرّاع ، وهو اسمه الأصيل ، وورد اسمه ـ الأحنف ـ فى اسناد « الأدب المفرد » قبيل حديثى الباب الأول منه ، وذكر القاضى ابن خلكان عن أبى نصر ابن ما كولا فى كتاب « الإكمال » ضبط اسمه « بردزبه » ثم قال : ووجدته فى موضع آخر « الاحنف » ولعله كان أحنف الرِّجل

ولم أقف على تاريخ وفاة والد الإمام البخارى ، لكن من المقطوع به أنه تُوُفى وولده صغير ، فنشأ فى حجر أمه . ولعل أول سماعه للحديث سنة ٢٠٤ أو قبلها ، فقد روى تلميذه محمد بن يوسف الفِرَبرِى عن محمد بن أبى حاتم وراق البخارى أنه سمع البخارى يقول : ألهمت حفظ الحديث وأنا فى الكتّاب . قلت : وكم أتى عليك إذ ذاك ؟ قال : عشر سنين أو أقل

وطريقة البخارى ــ منذ صغره ــ فى حفظ الحديث أنه كان يستوفى تراجم الرواة حتى كأنه يعيش معهم ، فهو يعلم الراوى وبيئته وعمن كان يروى ومن هم الذين رووا عنه . فاذا حدث أحد فأخطأ فى سند الرواة أدركه البخارى ، لأنه يعلم الراوى وتلاميذه وشيوخه وأزمانهم وأوطانهم . من ذلك ماحدّث به البخارى عن دراسته بعد خروجه من الكتّاب قال : فجعلتُ أختلف الى الداخلى وغيره . فقال الداخلى يوماً فيما كان يقرأ للناس « روى سفيان عن أبى الزبير عن ابراهيم » (يعنى النخعى) . فقلت : ان أبا الزبير لم يرو عن ابراهيم . فانتهرنى . فقلت له : ارجع الى الاصل ان كان عندك . فدخل فنظر فيه ، ثم رجع فقال : كيف هو ياغلام ؟ فقلت : هو الزبير ــ وهو ابن عدى ــ عن ابراهيم . فأخذ القلم وأصلح كتابه وقال لى : صدقت[1] . فقال انسان للبخارى : ابن كم كنتَ حين رددتَ عليه ؟ فقال ابن احدى عشرة سنة . وفى هذه السن كان يسمع مرويات بلده من محمد بن سلام البيكندى (١٦١ ــ ٢٢٥) ، وعبد الله بن محمد المسندى الجعفى (المتوفى سنة ٢٢٩) وأضرابهما . قال البخارى : فلما طعنتُ فى ستّ عشرةَ سنة حفظتُ كتب ابن المبارك (١١٨ ــ ١٨٢) ووكيع بن الجراح (١٣٠ ــ ١٩٧) وعرفت كلام هؤلاء (يعنى أصحاب الرأى من الفقهاء)

وفى هذه الفترة من عمره ــ وذلك فى سنة ٢١٠ ــ قام برحلته قاصداً حج بيت الله الحرام مع والدته وأخيه أحمد وكان أصغر منه ، وكان مزوداً فى هذه الرحلة بمادّة غزيرة من محفوظاته فى الحديث والسنة المشرفة ، فكان لايدخل بلداً إلا سمع من حفاظها : فسمع فى بَلْخ من مكى ابن ابراهيم البلخى الحافظ (المتوفى سنة ٢١٥ عن نيف وتسعين سنة) ، وبالبصرة من أبى عاصم

---

(١) لأنه كان قد دخل فرجع إلى الأصل الذى أخذ عنه ، وعلم أن الصواب ماقاله تلميذه الصغير

عمرو بن عاصم التيمى (المتوفى سنة ٢١٣) ، ومن محمد بن عبد الله بن المثنى الانصارى (١١٨ ـ ٢١٥) ، وبالكوفة من عبيد الله بن موسى العبسى (المتوفى سنة ٢١٣) ، وبمكة من شيخها وقارئها عبد الله بن يزيد المقرئ مولى العمريين (١٢٠ ـ ٢١٣) ، وببغداد من عفان بن مسلم البصرى مولى الأنصار (١٣١ـ٢٢٠) وبحمص من أبى اليمان الحكم بن نافع البهرانى (١٣٨ ـ ٢٢١) . وبدمشق من أبى مسهر عبد الأعلى بن مسهر الغسانى (١٤٠ ـ ٢١٨) . وبعسقلان من آدم بن اياس (١٣٢ ـ ٢٢٠) . وبفلسطين من محمد بن يوسف ابن واقد الفريابى مولى بنى ضبة (المتوفى أول سنة ٢١٢) . روى سهل بن السرى أن البخارى قال : دخلت الى الشام ومصر والجزيرة مرتين ، والى البصرة أربع مرات ، وأقمت بالحجاز ستة أعوام ، ولا أحصى كم دخلت الى الكوفة وبغداد مع المحدثين

وقال حاشد بن اسماعيل : كان البخارى يختلف معنا الى مشايخ البصرة وهو غلام فلا يكتب ، حتى أتى على ذلك أيام . فلمناه بعد ستة عشر يوماً . فقال : قد أكثرتم علىّ ، فاعرضوا علىّ ما كتبتم . فأخرجناه ، فزاد على خمسة عشر ألف حديث ، فقرأها كلها عن ظهر قلب ، حتى جعلنا نحكم كتبنا من حفظه . وقال أبو بكر بن أبى عياش الأعين : كتبنا عن محمد بن اسماعيل وهو أمرد على باب محمد بن يوسف الفريابى . وقال محمد بن الأزهر السجستانى : كنت فى مجلس سليمان بن حرب ـ الأزدى البصرى قاضى مكة ، توفى سنة ٢٢٤ وهو فى عشر التسعين ـ والبخارى معنا يسمع ولا يكتب ، فقيل لبعضهم : ما له لا يكتب ؟ فقال : يرجع الى بخارى ويكتب من حفظه . وقال ورّاقه محمد بن أبى حاتم : قال البخارى : كنت فى مجلس الفريابى فقال : حدثنا سفيان عن أبى عروة عن أبى الخطاب عن أبى حمزة . فلم يعرف أحد فى المجلس من فوق سفيان . فقلت لهم : أبو عروة هو معمر بن راشد ، وأبو الخطاب هو قتادة بن دعامة ، وأبو حمزة هو أنس بن مالك . قال (أى البخارى) : وكان الثورى ـ أى سفيان شيخ الفريابى ـ فعولاً لذلك ، يكنى المشهورين . أى فكان من أمانة الفريابى أن حدّث بمثل ماسمع من شيخه سفيان الثورى ، ففهمها البخارى لأنه كان يعيش مع الرواة فيعرف عنهم كل شىء ، وأيسر ذلك كناهم

وشيوخ البخارى الذين أخذ عنهم منذ خرج من وطنه سنة ٢١٠ هم علماء الإسلام وأعلامه جميعاً فى العالم الإسلامى فى تلك المدة ، وقد عقد لهم الحافظ ابن حجر (فى هدى السارى ص ٤٧٩ ـ ٤٨٠) فصلا رتبهم فيه على خمس طبقات ، فارجع اليه ان شئت

ومن أبلغ الأمثلة على ما استفاده البخارى من شيوخه قولُ يوسف بن موسى المروزى : كنتُ بالبصرة فى جامعها ، اذ سمعتُ منادياً ينادى : يا أهلَ العلم ، قَدِمَ محمد بن اسماعيل البخارى . فقاموا اليه ، وكنتُ معهم، فرأيت رجلا شاباً ليس فى لحيته بياض ، فصلى خلف الأسطوانة . فلما فرغ أحدقوا به ، وسألوه أن يعقد لهم مجلساً للاملاء ، فأجابهم الى ذلك . فقام المنادى ثانياً فى جامع البصرة فقال : يا أهلَ العلم ، لقد قدم محمد بن اسماعيل البخارى ، فسألناه أن يعقد مجلس الإملاء ، فأجاب بأن يجلس غداً فى موضع كذا . فلما كان الغد حضر المحدِّثون والحفاظ والفقهاء والنظارة ـ حتى اجتمع قريب من كذا كذا ألف نفس ـ فجلس أبو عبد الله للاملاء ، فقال قبل أن يأخذ فى الإملاء : يا أهل البصرة ، أنا شاب ، وقد سألتمونى أن أحدثكم ، وسأحدثكم بأحاديث عن أهل بلدكم تستفيدونها ـ يعنى ليست عندهم ـ قال : فتعجب الناس من قوله ، فأخذ فى الإملاء فقال : حدثنا عبد الله بن عثمان ابن جبلة بن أبى رواد العتكى ببلدكم قال : حدثنى أبى ، عن شعبة ، عن منصور وغيره ، عن سالم بن أبى الجعد ، عن أنس بن مالك (وذكر الحديث ، ثم قال) : هذا الحديث ليس عندكم عن منصور ، انما هو عندكم عن غير منصور . قال يوسف بن موسى : فأملى عليهم مجلساً من هذا النسق ، يقول فى كل حديث : رُوِى هذا الحديث عندكم كذا فأما من رواية فلان ـ يعنى التى يسوقها ـ فليست عندكم

واشتغالُ البخارى بالتأليف كان من بداية شبابه ، وكان يقول عن نفسه : لما طعنتُ فى ثمان عشرة سنة جعلتُ أصنف قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلهم ، وكان ذلك فى أيام عبيد الله بن موسى ، أى مدة وجوده فى الكوفة قبل وفاة عبيد الله بن موسى سنة ٢١٣ (والبخارى فى سن العشرين) . قال سليم بن مجاهد : قال لى محمد بن اسماعيل : لا أجىء بحديث عن الصحابة والتابعين الا عرفتُ مولدَ أكثرهم ووفاتهم ومساكنهم . ولستُ أروى

حديثاً من حديث الصحابة والتابعين ـ يعنى من الموقوفات ـ إلا وله أصل ، أحفظ ذلك عن كتاب الله وسنّة رسوله . وروى ورّاقه عنه قال : أقمتُ بالمدينة ـ بعد أن حججتُ ـ سنةً حرداً أكتب الحديث . وأقمتُ بالبصرة خمسَ سنين معى كتبى أصنّف وأحجُّ وأرجع من مكة الى البصرة . وقال : ما جلستُ للتحديث حتى عرفتُ الصحيحَ من السقيم ، وحتى نظرت فى كتب أهل الرأى ، وماتركتُ بالبصرة حديثاً الا كتبته . وقال : لا أعلم شيئاً يحتاج اليه ـ أى فى التشريع والآداب ونظام المجتمع ـ الا وهو فى الكتاب والسنة . قال ورّاقه : فقلت له : يمكن معرفة ذلك ؟ (أى فلا يحتاج الى التماس والرأى) قال : نعم

وأعظمُ مؤلفات البخارى ، بل أعظمُ تراث الإسلام ، كتابه (الجامع الصحيح) ، ابتدأ تصنيفه وترتيب أبوابه وهو بمكة ، واختار أحاديثه من ستمائة ألف حديث مدّة ست عشرة سنة ، وقال : « ما أدخلتُ فيه حديثاً حتى استخرت الله تعالى ، وصليتُ ركعتين ، وتيقنتُ صحته . وقد جعلته حجة فيما بينى وبين الله » . وكان يكتبه أولا فى المسوَّدة ، حتى اذا انتهى منه وأراد أن يحوله الى المبيضة حضر الى مدينة الرسول ، وجعل يحول تراجمه بين قبر النبى ﷺ ومنبره ، وكان يصلى لكل ترجمة ركعتين . قال أبو جعفر العقيلى : لما صنف البخارى كتابَ الصحيح عرضه على ابن المدينى ، وأحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين وأضرابهم من أئمة عصره ، فاستحسنوه ، وشهدوا له بالصحة ، الا أربعة أحاديث . قال العقيلى والقول فيها قولُ البخارى ، وهى فى صحيحه . قال الحاكم أبو أحمد : رحم الله محمد بن إسماعيل الإمام فإنه ألف الأصول وبين للناس ، وكل من عمل بعده فإنما أخذ منه

وله غير (الجامع الصحيح) : كتاب (الأدب المفرد) وهو هذا ، و (بر الوالدين) ، و (كتاب الهبة) . و (القراءة خلف الإمام) ، و (رفع اليدين فى الصلاة) ، و (خلق أفعال العبد) . و (التاريخ الكبير) ، و (التاريخ الأوسط) ، و (التاريخ الصغير) ، و (الجامع الكبير) ، و (المسند الكبير) ، و (التفسير الكبير) ، و (كتاب الأشربة) ، و (كتاب العلل) ، و (أسامى الصحابة) ، و (كتاب الوحدان) ، و (كتاب المبسوط) و (كتاب الكنى) ، و (كتاب الفوائد) ، وبعض هذه الكتب مفقود منذ عصور

وقد أخذ عن البخارى واستفاد منه أئمة الاسلام فى عصره ، ومنهم الامام الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى السُّلَمى (٢٠٩ ـ ١٣ رجب ٢٧٩) ، قال الذهبي : تفقه فى الحديث بالبخارى . وقال الحاكم : سمعت عمر بن علك يقول : مات البخارى فلم يخلف بخراسان مثل أبى عيسى فى العلم والحفظ والورع والزهد

ومنهم شيخ الاسلام أبو عبد الله محمد بن نصر المروزى الفقيه (٢٠٢ ـ ٢٩٤) . قال أبو محمد بن حزم : أعلم الناس من كان أجمعهم للسنن وأضبطهم لها وأذكرهم لمعانيها وأدراهم بصحتها وبما أجمع عليه الناس مما اختلفو فيه . ولا نعلم هذه الصفة بعد الصحابة أتم منها فى محمد بن نصر المروزى . فلو قال قائل : ليس لرسول الله ﷺ ولا لأصحابه الا ما عند محمد بن نصر ، لما بَعد عن الصدق

ومنهم شيخ ماوراء النهر أبو على صالح (جزرة) بن محمد بن عمرو بن حبيب الأسدى البغدادى (٢٠٥ ـ ٢٩٣) نزيل بخارى . قال أبو سعيد الادريسى : ما أعلم فى عصر صالح بالعراق ولا بخراسان فى الحفظ مثله ، دخل ما وراء النهر فحدَّث مدة من حفظه ، ما أعلم أخذ عليه خطأ فيما حدَّث

ومنهم الحافظ الكبير أبو جعفر (مطين) محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمى الكوفى (٢٠٢ ـ ٢٩٧) سئل عنه الدارقطنى فقال : ثقة ، جبل . صنف المسند وغيره ، له تاريخ صغير

ومنهم ابن خزيمة شيخ الاسلام أبو بكر محمد بن إسحق السلمى (٢٢٣ ـ ٣١١) ، قال أبو على النيسابورى : كان ابن خزيمة يحفظ الفقهيات من حديثه كما يحفظ القارئ السورة . وقال الحافظ أبو حاتم محمد بن حبان : مارأيت على وجه الأرض من يُحسن صناعة السنن ويحفظ ألفاظها ـ كأن السنن بين عينيه ـ إلا ابن خزيمة . وقال الحاكم فى (علوم الحديث) : فضائل ابن خزيمة مجموعة عندى فى أوراق كثيرة ، ومصنفاته تزيد على مائة وأربعين كتابا ، سوى المسائل المصنفة مائة جزء

والذى يحاول أن يحصى أسماء الاعلام الذين أخذوا عن الامام البخارى ، والتزموا طريقته فى حفظ السنة وفهمها وحمل أمانتها لمن بعدهم ، يخرج من ذلك بسِفر عظيم

ونختم هذا الفصل بحديث أبي حامد الأعمش الحافظ قال : كنا يوماً عند محمد بن اسماعيل البخاري بنيسابور ، فجاء مسلم بن الحجاج فسأله عن حديث ، فذكره البخاري بتمامه ، قال : فقرأ عليه انسان حديث حجاج بن محمد ، عن ابن جريج ، عن موسى بن عقبة ، عن سهيل بن أبي صالح ، عن أبيه عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال « كفارة المجلس اذا قام العبدُ أن يقول : سبحانكَ اللهمَّ وبحمدك . أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب اليك » فقال له مسلم : في الدنيا أحسنُ من هذا الحديث ؟ ابن جريج ، عن موسى بن عقبة ، عن سهيل ابن أبي صالح . تعرف بهذا الإسناد في الدنيا حديثاً ؟ فقال محمد بن اسماعيل : الا أنه معلول (أي بهذا الإسناد ، ولكنه صحيح بأسانيد أخرى) . فقال مسلم : لا اله الا الله ـ وارتعد ـ أخبرني به . فقال : أسترُ ماستر الله ، هذا حديث جليل رواه الناس عن حجاج بن محمد ، عن ابن جريج . فألحَّ عليه وقبل رأسه وكاد أن يبكي . فقال : اكتب ، ان كان ولابد : حدثنا موسى بن اسماعيل ، حدثنا وهيب ، حدثنا موسى بن عقبة ، عن عون بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ « كفارة المجلس اذا قام العبد أن يقول . . . الخ » فقال له مسلم : لايبغضك الا حاسد ، وأشهد أنه ليس في الدنيا مثلك

وفي السنة الثانية والستين من حياة هذا الإمام العظيم خرج الى خَرْتَنك ـ قرية من قرى سَمرْقَند ـ فنزل ضيفاً على غالب بن جبريل وهو من ذوي قرباه ، قال غالب : فسمعته ليلةً وقد فرغ من صلاة الليل يقول في دعائه : اللهم قد ضاقت عليَّ الأرض بما رَحُبت ، فاقبضني اليك . وأقام في خرتنك أياماً فمرض ، حتى وُجه اليه رسول من أهل سمرقند يلتمسون منه الخروج اليهم ، فأجاب ، وتهيأ للركوب ، ولبس خفيه وتعممَ . فلما مشى قدر عشرين خطوة أو نحوها الى الدابة ليركبها ـ وأنا آخذ بعضده ـ قال : أرسلوني فقد ضعفت . فأرسلناه . فدعا بدعوات ، ثم اضطجع فقضى . وكان ذلك ليلة السبت ليلة عيد الفطر سنة ٢٥٦ . رحمه الله رحمة واسعة ، وجزاه عن المسلين والانسانية بما يجزي به أولياءه الصالحين

التعريف بكتاب «الأدب المفرد»

لإمام المحدثين محمد بن اسماعيل البخارى

وبشرحه للفاضل المحقق السيد فضل الله الجيلانى

أحد أساتذة الجامعة العثمانية بحيدر آباد (الدكن)

بسم الله الرحمن الرحيم

أجمعت الأمة الإسلامية على أن (الجامع الصحيح) أصحُّ الكتب بعد كتاب الله ، وأنه محتو على كل مايتعلق بالسُّنة النبوية . الا أن البخارى نفسه لم يكتف به فى باب الآداب والأخلاق حتى أفرد له مؤلفاً آخر سمَّاه (الأدب المفرد) فهو من خيرة مادُوِّن فى الآداب الدينية الفاضلة والأخلاق الإسلامية العالية مما يجب أن يتصف به مسلم يضنُّ بدينه واسلامه ويستعد فى هذه الدار لآخرته ، أورد فيه من الأحاديث الصحيحة عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم وآثار الصحابة والتابعين مايتعلق بهذا الباب . ثم لهذا المؤلف مع تفرده مزايا أخر ذكرها جلة من المحـــدثين والأعلام الراسخين ، وشهد بكثرة فوائده الحافظ ابن حجر العسقلانى :

منها (١) أن نصفه ــ من حيث صحة الأسانيد ــ بمدارج الصحيح له ، والنصف الآخر فى القوة دون الصحيح لمسلم ، وأقوى من بقية الصحاح الستة (اقتباس من تبصرة العلامة يوسف البنورى)

ومنها (٢) أنه وصله بقدر صالح من الأحاديث التى كانت معلقة فى الجامع الصحيح له

ومنها (٣) أن ماذهل عنه كبار المحدثين من تعيين راو أو كلمة وسم فيه ذلك الراوى وتلك الكلمة

ومنها (٤) أنه يوجد فيه من الأخبار مالا يوجد فى غيره ، فلا ريب أنه قد حوى أدباً محمدياً جماً ، وعلماً واسعاً فى الأخلاق والآداب الإسلامية وحُسن المعاشرة

والعجب كل العجب أن الأمة مع ولوعها بخدمة الحديث النبوى والشغف بشرح كتبه